مضامين المعرفة في الفكر التربوي الإسلامي "رؤية تأصيلية"

"The Implications of Knowledge in Islamic Educational Thought 'A Fundamentalist View"

عادل حسين علي محمد

دكتوراه علم نفس تربوي وإرشاد، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا

Adel Hussein Ali Muhammad

PhD in Educational Psychology and Counselling - International Islamic University Malaysia

الملخص:

يتناول هذا البحث مضامين المعرفة في الفكر الإسلامي (قران كريم – السنة النبوية) وعلاقتها بالوحى بغية تحسين فهمنا للوحى القرآني عن طريق استقراء نصوص الوحي من قران كريم وسنة نبوية مطهرة ولتحقيق أهداف البحث استخدم الباحث المنهج الوصفي والاستقرائي والذي كشف عن تضمين نصوص القران الكريم والأحاديث لمفهوم المعرفة وأن القران الكريم والسنة النبوية مصدر رئيس من مصادر المعرفة وأوصت الدراسة بضرورة الاهتمام بالتربية والتعليم في العالم الإسلامي وفق منهج القران الكريم والسنة النبوية باعتباره مصدر من مصادر المعرفة.

الكلمات المفتاحية: مضامين، المعرفة، الفكر الإسلامي

Abstract

This research deals with the implications of knowledge in Islam and their relationship with the revelation in order to improve our understanding of the Qur'anic revelation by inducing the texts of revelation from the Qur'an and the Sunnah of the Prophet. To achieve the objectives of the research, the researcher used the descriptive and inductive methodologies, which revealed the inclusion of the texts of the Quran and Hadiths of the concept of knowledge, and that the Holy Qur'an and Sunnah are the main sources of knowledge. The study recommended the need to pay attention to education and learning in the Islamic world according to the Qur'an as a source of knowledge.
Keywords: Implications, Knowledge, Islamic Thought

مقدمة

يعد موضوع المعرفة من الموضوعات الهامة للفكر الإنساني بشكل عام ونقطة ارتكاز للفكر الإسلامي بشكل خاص، وإغفال البحث فيه يعد مصدرًا للمشكلات الفكرية والتربوية؛ وتعد المعرفة أعلى وظيفة للإنسان، وهي وأساس استخلافه في الأرض ومركزه في الكون وإن المتأمل لنصوص القران الكريم والسنة النبوية فيما يتعلق بالمعرفة يجد أن الإسلام ينظر للمعرفة نظرة كلية شاملة متكاملة تختلف عن التصورات الفلسفية الأخرى. وهذه التصورات مليئة بالتناقضات والاختلافات، الأمر الذي يؤكد إخفاق التصورات الفلسفية في تقديم تفسير مقنع ومتكامل للمعرفة. وعليه يعد من الضرورة تأصيل المعرفة في الفكر الإسلامي؛ أي: ممارسة النشاط المعرفي كشفًا وتجميعًا وتوصيلًا ونشرًا من زاوية التصور الإسلامي، وبخاصة أن القران الكريم والسنة النبوية تناولا عناصر المعرفة. وأول مجالات تأصيل المعرفة، العناية بدراسة مصادر المعرفة من أجل توجيه الإنسان نحو أسمى الغايات، على أساس من صحة التصور والمنهج، بعد أن فقد بعض الناس القدرة على تحديد مسار حياتهم وإدراك غايتهم بسبب تناقضات الفكر والواقع، وحتى تكون الدراسة مثمرة وفاعلة لا بد أن تكون بطريقة الموازنة، وهذا ما تسعى إليه الدراسة الحالية. وتناولت العديد من الدراسات مفهوم المعرفة في مصادر التشريع الإسلامي أو مصطلح المعرفة منها دراسة [١] [1].

تبدأ الدراسة باستكشاف الطبيعة الإشكالية للفلسفة في الإسلام.

القسم الثاني يبحث في الموارد المتاحة؛ لاستكشاف منهجي لمبادئ التربية الإسلامية.

يناقش القسم الثالث ثلاثة أبعاد للتعليم في الإسلام؛ أحدها يركز على التنمية الفردية. والآخر على التعليم الاجتماعي والأخلاقي. والآخر على اكتساب المعرفة.

(1)(Halstead، M. (2004). **An Islamic concept of education. Comparative education**، 40 (4)، 517- 529.

تختتم الورقة بمناقشة موجزة للاختلافات بين الطرق الإسلامية والليبرالية لفهم التعليم وإمكانية الحوار في المستقبل مع الفلسفات الغربية. وتشير دراسة (عكاشة، 2018) [١] إلى التكامل المعرفي في مجتمع الجامعة وأثر ذلك على التقدم الحضاري.

وفى ذات الصدد تناولت دراسة (نصيرات، وآخرون، 2013)[٢] مصادر المعرفة في الفلسفات التربوية المثالية والواقعية والبرجماتية ونقدها في ضوء مصادر المعرفة في القران الكريم، ولتحقيق أهداف البحث استخدم الباحثون المنهج الوصفي

والاستقرائي وتوصلت الدراسة إلى اختلاف حاد في نظرة الفلسفات التربوية إلى مصادر المعرفة، وأن مصادر المعرفة في الفلسفات تعد مصدرًا من مصادر المعرفة في القرآن الكريم، وأوصت الدراسة إلى إعادة بناء فلسفات التعليم في العربي والإسلامي وفق رؤية القران الكريم لمصادر المعرفة.

وتناولت دراسة (حاجى، 1986) [٣][1] علاقة الوحي بالمعرفة. وتوصلت الدراسة إلى محدودية المعرفة المستندة على الحس والملاحظة والعقل ومجالاته؛ من حيث التوصل إلى بعض إلى بعض الحقائق والإدراكات بشكل عام وإلى المعنويات في حياتنا بشكل خاص، وبذلك اعتبر الباحث أداة العلم في حياتنا قاصرة.

---

(١)عكاشة، رائد جميل، (2019)، " التكامل المعرفي: أثره في التعليم الجامعي وضرورته الحضارية"، **مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد**، 91، الجزائر، ص78.

(٢)نصيرات، آخرون، (2013)، "مصادر المعرفة في القران الكريم والفلسفات التربوية دراسة مقارنة "، **مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد** 30، فلسطين، ص23.

(٣)حاجى، جعفر عباس، (1986)، **نظرية المعرفة في الإسلام.. دراسة مقارنة لنظرية الأسس والمفاهيم المتعلقة بنظرية المعرفة في الإسلام وبقية المذاهب الفلسفية الأخرى**، بيروت، الألفين، ص198.

ومن الدراسات التي تناولت مشروع الأسلمة ضمن المنظورات المعرفية والأخلاقية: (Memon، .Niyozov،N 2011،) [1] بالاعتماد على عدد من المصادر الأولية والثانوية، تحدد الورقة المنظورات والمناقشات الرئيسية حول الموضوعات والقضايا والتحديات والتطورات المهمة في مجال التعليم الإسلامي. على خلفية ظهور الخطاب الديني والسياسة في المجال العام، تناقش هذه الدراسة مصادر وتطور مفهوم التعليم كنظام في العالم الإسلامي؛ وضع التعليم الإسلامي ضمن مشروع الأسلم مع موازنة ذلك مع إعادة النظر في الذات وتقدير "الآخر"؛ يستكشف الآثار التعليمية للمسلمين مقابل تقسيم الغرب. وتخلص الدراسة أخيرًا إلى أن التعليم الإسلامي قد وصل إلى مفترق طرق، يتطلب النجاح في الألفية الجديدة براعة وتعاونًا، والتعلم ليس فقط من الماضي، ولكن أيضًا من الحاضر والنظر إلى المستقبل. ويأتي على رأس الدراسات الحديثة في مجال أسلمة المعرفة المؤتمر العلمي العالمي بالجامعة الإسلامية- ماليزيا (2011) بعنوان "**أسلمة العلوم المعاصرة وتجديد منهج الدراسات الإسلامية**"، الذي أوصى بضرورة ترسيخ الفلسفة الإسلامية كأساس لفلسفة التعليم في العالم الإسلامي.

اختلفت آراء الفلاسفة والفلسفات حول مصادر المعرفة؛ فرأى بعضهم أن العقل هو المصدر الوحيد للمعرفة، وقال فريق آخر: إن مصدر المعرفة التجربة الحسية. وذهب فريق ثالث إلى أن المعرفة قد لا تصل عن طريق العقل ولا عن طريق الحواس، بل عن طريق ملكة أخرى أطلقوا عليها اسم الحدس. ويرى فريق رابع أن المعرفة ترد إلى السلوك أو الفعل أو التجربة العملية؛ فالمتأمل في الآراء والمذاهب الفلسفية يجد الخلاف الحاد بين التيارات، وهذا الخلاف ماثل منذ فجر التاريخ الإنساني، فثمة خلاف حول إمكان

(1) Niyozov، S.، & Memon، N. **Islamic education and Islamization: Evolution of themes**،continuities and new directions. Journal of Muslim Minority Affairs،. (2011)31 (1)، 5- 30

المعرفة، وحول مصادر المعرفة ووسائلها وأدواتها، وحول طبيعة المعرفة وغاياتها. وعليه فإن الوقوف على الفكر الإنساني هو البحث عن المعرفة

والسعي نحوها عبر التعلم وعند النظر إلى القرآن الكريم نجد أن المصادر التي تتناول مناسبة النزول تذكر أن أول ما نزل من القرآن الكريم كان مرتبطًا بالعلم والمعرفة.

قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١-5]؛ فهذه دعوة صريحة للعلم والمعرفة مما يعني أننا أمام هداية إلهية نحو العلم والمعرفة تمثلت بالنص القرآني الكريم، والتي تكشف عن أثر ذلك في البناء الإنساني والحضاري لهذا الإنسان عندما تم بناؤه معرفيًّا وعلميًّا بصورة مستمدة من الباري عزّ وجل وسبله الداعية والهادية إلى الكمال والخير المطلق؛ لذا ما تذهب إلى أهم الدراسات العقلية والمنطقية في إرجاع العلوم الحصولية للعلوم الحضورية، وهو بحث فلسفي معمق في نظرية العلم ومنشأ العلم والإدراك قد يتجانس ويتماشى مع هذه الرؤية، لكن عبر تحليل وتعميق فلسفي لإدراك ذلك ان دراسة [1].

خلفية الدراسة:

تتباين وتتمايز مصادر المعرفة في الإسلام وفكريته عن مصادر المعرفة في الحضارة الغربية والمناهج الوضعية عامة، سواء القديمة ممثلة في الإغريق والرومان، أو المعاصرة ممثلة في أوروبا وأمريكا وغيرهما. إن الغيب وفق ما جاء في التنزيل الكريم مصدر رئيس وأصيل للمعرفة في الإسلام، بل إنه مُحدِّدٌ أساسٌ، له صلاحية وله مقام إعادة صياغة مصادر المعرفة الأخرى، وهي العقل والحس والتجربة، بمعنى أن الإيمان بعالم الغيب له الأسبقية في رسم التصور السليم فيما يتعلق بكيفيات وآليات التعامل مع مصادر المعرفة المنتمية لعالم الشهادة، والذي يترتب على ذلك منطقيًا، يتمثل في تميّز منهج المعرفة في الإسلام، عن

(١)القرني، عبد الله بن محمد، (2014)، **المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها**، الرياض، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ص22.

منهج المعرفة في الحضارة الغربية، الذي يبدو أنه لا يقرّ سوى بالعقل والحس– التجربة عنده جزء من الحس– مصدرين للمعرفة.

مشكلة الدراسة:

يعالج هذا البحث مضمون المعرفة كما تناوله القران الكريم والسنة النبوية المشرفة ودراسة الألفاظ القرآنية والأحاديث الشريفة المتعلقة بالعلم والمعرفة وتشكل لنا هيكلًا أساسيًّا لبناء منهج في المعرفة والعلم عبر الألفاظ الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؛ لذا لكي يتسنى الوقوف على ذلك لا بد أن نسبر أغوار الألفاظ دلاليًّا ودراستها بشكل معمق عبر مثلث تتشكل منه الدلالة بصورتها المتكاملة وتأصيل منهج الاستدلال في الإسلام وبيان مصادر المعرفة ودلالاتها.

أسئلة الدراسة: وهذه الدراسة أجابت عن الأسئلة الآتية:

1. ما مدى تضمين مفهوم المعرفة في القرآن الكريم– السنة النبوية المشرفة؟
2. ما أهم المصطلحات والمفاهيم المعرفية الواردة في القران الكريم– السنة النبوية؟
3. ما علاقة المعرفة بالوحى؟
4. هل يوجد تكامل بين مصادر المعرفة في الفكر التربوي الإسلامي؟

أهداف الدراسة:

سعت الدراسة إلى تحقيق الأهداف الأتية:

- ببان مصطلحات ومفاهيم المعرفة التي أشار إليها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.
- تأصيل علاقة المعرفة بالوحي في الفكر التربوي الإسلامي.
- إبراز طبيعة المعرفة ومجالاتها المختلفة في الفكر التربوي الإسلامي.
- رصد التكامل بين مصادر المعرفة في الفكر التربوي الإسلامي.

أهمية الدراسة: تنبع أهمية هذه الدراسة من تعلقها بكتاب الله العظيم وسنة نبيه المطهرة وحاجة المسلم إلى تأصيل المعرفة في الفكر التربوي الإسلامي في عالم متغير وينشد المعرفة بكل سبيل، وقد تفيد الدراسة القائمين على النظام التربوي العربي والإسلامي،

وذلك بإعادة النظر في الفلسفات التي يقوم عليها التعليم والمربون ومخططو المناهج ومؤلفو الكتب المدرسية في الوقوف على الأبعاد الخطيرة لمصادر المعرفة غير الصحيحة، وكذلك إثراء المكتبة وسد النقص الحاصل فيها والمتصل بهذا الموضوع؛ حيث إنه لم يحظ هذا الجانب بدراسات كافية وعميقة.

منهج الدراسة: اعتمد الباحث في دراسته على: المنهج الوصفي الاستنباطي القائم على الوصف والتحليل للوقوف على مضامين المعرفة في الفكر التربوي الإسلامي. **ويعزو الباحث اختيار المنهج الوصفي**؛ لأن البحوث الوصفية توصلنا إلى حقائق دقيقة عن الظروف القائمة، وتستنبط العلاقات المهمة القائمة على الظاهرات المختلفة، وتفسر معنى البيانات، وتمد الباحثين بمعلومات مفيدة وقيمة، وبذلك تساعد التخطيط والإصلاح ووضع الأسس الصحيحة للتوجيه والتغيير، وتعيننا على فهم الحاضر وأسبابه ورسم خطط المستقبل واتجاهاته. (١)

حدود الدراسة:

واقتصرت هذه الدراسة على بيان مضامين المعرفة الرئيسة في القرآن الكريم والسنة النبوية وعلاقتها بالوحى.

إجراءات البحث:

قام الباحث بعزو الآيات في القران بذكر اسم السورة ورقم الآية حسب ترتيب المصحف العثماني، وكذلك عزو الأحاديث إلى أمهات كتب السنة مع ذكر درجة الحديث، وكذلك عزو النصوص المقتبسة إلى مصادر الدراسة التي تشتملها الدراسة الحالية، ومناقشة الآراء بموضوعية دون تحيز، وتقسيم وحدات الموضوع إلى محاور.

الأدوات:

(١)دويدرى، رجاء وحيد (2000)، **البحث العلمي.. أساسياته النظرية وممارسته العلمية**، بيروت، دار الفكر المعاصر، ص184.

- مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.
- المكتبة الرقمية الشاملة.
- الكتب والدراسات المتعلقة بموضوع البحث.
- الشبكة العنكبوتية.

الإطار النظري: أولًا: مصطلح ومفهوم المعرفة في القرآن الكريم:

ورد لفظ "المعرفة" في القرآن الكريم على نحوٍ محدود مقارنة بلفظ العلم ومشتقّاته؛ وقد جاء على هيئة الفعل بصيغه المتعدّدة في أربعة وعشرين موضعًا، ترجع كلها إلى الأصل الأول معَ فروق في المعاني الاستعماليَّة، وهي ثمانية أقسام: الأول: المعرفة الحسيّة؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ [البقرة: 146]. وضدُّه الإنكار: ﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [المؤمنون: 61]. والثاني: التعريف: كتعريف الضالّة وضدّه التنكير، قال تعالى: ﴿وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ﴾ [محمّد: 6]. والثالث: التعارف، ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [الحجرات: 13]. والرابع: الاعتراف: بمعنى الإقرار بالشيء: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: 103]، والخامس: المعروف: وهو كلّ ما تعارف الناس عليه بأنّه خير وصلاح: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [آل عمران: 110]. والسادس: العُرْف: وهو ما تَبْذُلُه وتُعطيه: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ [الأعراف: 199]. والسابع: عرفات: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ﴾ [البقرة: 198]. والثامن: الأعراف: كلّ مرتفع الأرض: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ﴾ [الأعراف: 48][1] ومن السمات الدلالية للمعرفة أيضًا: اشتمالها على جانب وجداني، كما نجد ذلك في قوله سبحانه عن النصارى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: 83]: "ومن ذلك قيل: العارف بالله، ولذلك فهي

(١)عبد الله عمر (2012)، **مفهوم المعرفة في القران الكريم**، تاريخ الدخول 15/ مايو س 1،00متاح على: http: =/ / munaalislam. net/ ?p

تنتج تجاوبًا مع موضوع المعرفة، فهي بانية بالضرورة على عكس العلم الذي قد يكون منفصلًا عن الدافعية والحركية، ومما يؤكد هذا المعنى استعمالات الحديث الشريف؛ حيث روى الْحَارِث بن مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ: أَنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ: «كَيفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ؟» قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، فَقَالَ: «انْظُرْ مَا تَقُولُ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانكَ؟

«فَقَالَ: قَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لِيَلِي، وَاظمَأَت نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَونَ فِيهَا، فَقَالَ: «يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالْزَمْ»، ثَلاثًا" (١).

وخلاصة استعمالات لفظ "معرفة" في القرآن الكريم: من تتبّع استعمالات لفظ ''معرفة'' في القرآن الكريم نجد أن ورود المعرفة في القرآن بوصفها إدراكًا مكتسبًا، وقد ذُكِرت في مواضعَ عدّة مقرونة بالعلامة الظاهرة؛ إمّا في الوجه فكانت أداة المعرفة ''العين''، وإمّا ممّا صدر من قول فكانت أداة المعرفة ''الأذن''، وأمثلة ذلك في القرآن الكريم كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطففين: 24]، وتكون أدلّة المعرفة من الوحي ومن الكون، وكلّها تؤدّي إلى اليقين. أمّا الوحي، ففي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: 89]، وفي الأدلّة العقليّة: قوله تعالى: ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النمل: 93]؛ فالمعرفة لها بابان؛ لأنّ آياتِ الله نوعان؛ الأول: التفكّر والتأمّل في آيات القرآن الكريم. والثاني: التفكر في آياته المشهودة وفي الأدلّة الحسيّة: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمّد: 30] (٢).

(١)الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني أبو القاسم، (1983)، " **المعجم الكبير** "، القاهرة، مكتبة ابن تيمية (3/ 266).

(٢)دخوش، كلثومة، (2014)، "مع كتاب الله تعالى"، **مجلة المحجة**، المغرب، نوفمبر، العدد 428، ص3.

ثانيًا: مصطلح ومفهوم المعرفة والسنة النبوية المشرفة: إن الجانب التشريعي في سنة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلّم قد لاقى من الاهتمام العظيم ما هو أهل له؛ لأهميته في شريعتنا وملتنا، واعتباره مفسرًا وشارحًا ومُشرعًا في ديننا الإسلامي بعد كتاب الله الكريم، وهو لا خلاف عليه بين المسلمين كافة من كل من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولًا. إلَّا أن الجانب المعرفي والجانب الحضاري في السنة المطهرة؛ كالأحاديث المتعلقة بالصحة والتربية والاقتصاد والبيئة والنظافة...، إلخ، والجانب الحضاري الذي يرتقي بالإنسان

من عالم الهمجية والتخلف والتراجع الإنساني إلى مراقي التحضر والتمدن والعطاء الأدبي والروحي والاخلاقي، وهو ما استلزم أن يقوم الإسلام كمنهج حضاري متميز، بالارتقاء بالبشرية، وتزكية النفوس، والحض على التعلم المتدرج الحكيم، فنحن أمة ﴿اقْرَأْ﴾، واقرأ هي مفتاح كنوز الرقي والتقدم والتميز المدرك الحكيم المتنوع الفاعل. هذا الجانب لم يلق الاهتمام المطلوب كرسالة حضارية وإنسانية يجب مضاعفة الجهد فيه. وإذا كانت مصادر المعرفة عند الماديين الذين يقيسون كل شيء بالمقاييس المادية المحسوسة والعقلية المدركة فقط، فإن المسلم يحترم العقل والحس والإدراك، وهو ما يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، ولكننا كأمة مسلمة نؤمن بالوحي الرباني الذي يقوّم الخطأ البشري في حال وقوعه في الضلال ومجانبته الصواب [1].

وتتضمن السنة النبوية الكثير من المعارف العقلية والحسية التي تستطيع أن نلتمسها؛ مثال ذلك: حديث أبي هريرة، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**مثلى ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بنيانًا فأحسنه وأكمله إلا موضع لبنة من زواية من زواياه، فجعل الناس يطيفون به ويعجبون منه ويقولون: ما رأينا بنيانًا أحسن من**

(١)القرضاوي، يوسف، (2002)، السنة **مصدر للمعرفة والحضارة**، مصر، دار الشروق، ط2، ص153.

هذا إلا موضع هذه اللبنة؛ فكنت هذه اللبنة". "وفى حديث أبي هريرة، أيضا، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "**بعثت لأتمم حسن الأخلاق** [١] ".

التطبيقات النبوية التي جسدت علاقات المسلمين بأهل الكتاب في داخل المجتمع الإسلامي الناشئ والدولة الإسلامية الوليدة مع الدول والمجتمعات الكتابية المحيطة وهى – هذه التطبيقات– جزء من السنة النبوية، وفى هذا كتر غني من المعارف، لا سبيل إلى التماسها في مصدر آخر من مصادر هذا الباب وذلك التاريخ.

وإذا كان البلاغ القرآني يعلمنا –ضمن ما يعلمنا التوجيه الإسلامي– المتميز في أمر السنن والقوانين المودعة في ظواهر الطبيعة وحقائق الوجود. وهو المذهب الذي يعترف بفعل السنن والقوانين في المسببات المتولدة عنها، مع الإيمان بأن هذه السنن والقوانين؛ مثلها مثل الظواهر والقوى التي أودعت فيها– جميعًا مخلوقة لمن خلقها وخلق فيها هذه السنن والقوانين الفاعلة. ففعلها المنظم والمطرد هو خلق الله وإرادته، وله –سبحانه– القدرة على إيقاف وخرق الاطراد المعتاد لعمل هذه السنن والقوانين إذا أراد إظهار إعجاز يؤيد به رسولًا أو يتحدى به من لا يخصونه بالألوهية والربوبية.

وعلى هذا الدرب نجد السنة النبوية تغني الفكر الإنساني في هذا الميدان مثل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "**ما ظهر الغلول في قوم إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب، ولا فشا الزنا في قوم إلا وكثر فيها الموت، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم الرزق، ولا حكم قوم بغير الحق إلا فشا فيهم الدم**"[٢]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "**لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرًا، أو ليضربن الله بعضكم ببعض، ثم تدعون فلا يستجاب لكم**"[١].

(١)البخاري، محمد بن إسماعيل، (1988). **الجامع الصحيح**، المناقب، بيروت، دار احياء التراث، ط3.

(٢)ابن أنس، مالك (1994)، **الموطأ**، دبي، مكتبة الفرقان.

تلك أمثلة على أطراف من المعارف التي مصدرها السنة النبوية [٢] ومعارف السنن والقوانين التي أقامها الله وأودعها في الجماعات والمجتمعات إذا كانت هذه هي إرادة الله، وهذا هو حديث البلاغ القرآني عن عمارة العالم الإسلامي بالإيمان العامل والعمل المؤمن، فإن البيان النبوي زاخر بالمعارف التي تمثل الزاد الذي لا ينفد في هذا الميدان.

فأحـــاديث العمل والمأثورات التي قننت لإحياء الأرض وعمارتها، بل إن تجربة البناء الاجتماعي والاقتصادي لدولة الإسلام الأولي- هي التجسيد العملي لهذا البيان النبوي في هذا. أو في حديث أبي هريرة، يقول النبى صلى الله عليه وسلم: "خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح"، بل إن تعظيم العمل الإنساني يبلغ في السنة النبوية المقام الذي يتحدث عنه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل"، تلك إشارة إلى زاد المعارف التي تقدمها لنا السنة مصدرًا للمعرفة في هذا الميدان.

وإذا كانت العقيدة الإسلامية تأبى العبثية التي ترى في هذه الحياة الدنيا نهاية المطاف بالنسبة للحياة والأحياء، وتجعل من الإيمان بالبعث والحساب والجزاء في اليوم الآخر في معرض إقامة الحجة- إذا كانت تلك إشارات إلى حديث- فإن معارف السنة النبوية عن أنباء البعث وصوره وأحوال الناس فيه هي المصدر الذي يجد فيه المسلم ما يقرب صورة هذا الغيب -على نحو ما- إلى العقل المحدود لإنسان عالم الشهاد، الذي تتوجه إليه الرسالة الإلهية بالبلاغ وبالبيان.

هذا إضافة إلى ما ضمنت كنوز السنة من صور تقرب للذهن الإنساني -قدر الإمكان- أحوال النفخ في الصور، وأحداث ما بين النفختين، وصورة الحشر ومكانه وصورة الناس فيه، والحساب والميـــزان والجزاء والشفاعة، ومَن يظلهم الله يوم لا ظل إلا

=

(١)البخاري، محمد بن اسماعيل (1988)، **الجامع الصحيح**، ط3.

(٢)عمارة، محمد، (2008)، **مقام العقل في الإسلام**، نهضة مصر، القاهرة، ص. 122

ظله... إلخ وغيرها من المعارف المقربة والميسرة والمفسرة لإِشارات البلاغ القرآني لهذا العالم الذي يستحيل على العقل البشري إدراك كنه حقائقه، كما تستحيل على لغة البشر أن تكون وعاء يفي بحمل ما في أنبائه من مضامين تلك أمثلة لنماذج شاهدة على أن السنة النبوية مصدرًا من مصادر المعارف السمعية في النسق الفكري للإسلام، وهي شاهدة على صدق ووفاء السنة النبوية بهذه المهمة في فكر الإِسلام وفي حضارة المسلمين [١].

ثالثًا: علاقة المعرفة بالوحى:

أول مصدر من مصادر المعرفة في الإسلام هو النقل (الوحي)؛ يقول ابن تيمية: "المعرفة المكتسبة من الوحي معرفة يقينية مطلقة ذلك أن الوحي بصفته جزءًا من علم الله له ما لهذه الصفة من كونها حقيقة مطلقة غير محدودة، ودلالة الوحي في إفادة المعرفة الدينية دلالة شرعية سمعية وعقلية" [٢]

ويُعتبر الوحي أحد أهم مصادر المعرفة في الإسلام، وله مجالات اختص بها دون بقية المصادر، فقدم لنا علمًا في كثير من المجالات التي أخفقت فيها المصادر الأخرى، ومما اختص به الوحي: أحكام الحلال والحرام، وأخبار اليوم الآخر، ومصير الإنسان بعد الموت، وحقيقة الروح، وعلم الساعة، وغير ذلك.

والعقل وإن دل على بعض الغيبيات؛ كإثبات وجود الله وإثبات النبوة وبعض صفات الله تعالى، إلا أنه لا يشمل كل الحقائق الغيبية، وأيضًا دلالته على بعض الغيبيات هي دلالة مجملة؛ لأنه عاجز عن الإثبات المفصل، وهذا مما اختص به الوحي.

---

(١)المؤتمر السابع للمجمع الملكي العالمي لبحوث الحضارة الإِسلامية (مؤسسة آل البيت)، (1989) **السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة للفكر الإسلامي**. بالتعاون مع المعهد العلمي العالمي بواشنطن، عمان، ٦/ 19- ٢٣

(٢)ابن تيمية، تقى الدين، أحمد الحراني، (2005)، **مجموع الفتاوي**، ط3، مصر، دار الوفاء، ج 13/ 136.

ومن المسائل المهمة في هذا المصدر المعرفي: أن نصوص الوحي ليست مجرد نصوص إخبارية، كما يدعي البعض، وأن العبد مطالب بالتسليم بها بالعاطفة دون قناعة عقلية، بل الوحي قائم على الدلالة العقلية ومتضمن لها، والدليل الشرعي قسم من منظومة الأدلة الشرعية وليس قسيمًا لها، فالدليل الشرعي لا يُقابل بالدليل العقلي ولا يُجعل قسيمًا له، بل يُقابل بالدليل البدعي. والنقل غني جدًّا بالدلالة العقلية التي تثبت سائر أصول الاعتقاد ويكفي قراءة القرآن لمعرفة ذلك.

ولقد دأب دارسو نظرية المعرفة على حصر مصادرها في مصدرين، هما: (الحس، العقل)، كما دأبوا على استعراض الصراع الفكري والجدلي بينهم في أن المصدر هو الحس فقط أو هو العقل فقط أو هما معًا. وكان هذا لأنهم استبعدوا الفكر الديني أو المعرفة الدينية من مجال دراساتهم، ولأننّا نؤمن بالدين الإلهي تتربع المصادر لدينا كالتالي: (الوحي، الإلهام، العقل، الحس)، وفي ضوء ذلك ينبغي تحليل مصادر المعرفة وأدواتها واحدة بعد الأخرى؛ لنستكشف مدى اعتبار كل منها، وذلك حسبما دل عليه قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى:٥١] ، أوضحت الآية الكريمة ثلاثة طرق لتكليم الله تعالى البشرَ، هي: الإلهام، الذي عبرت عنه بالوحي، وهي لغة القرآن في هذا؛ لأن كلمة الوحي تشمله من حيث

اللغة؛ لأنه إلقاء علم إلى الغير في السر والإخفاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص: 7]، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [النحل: 68]، ومن وراء حجاب، كما في حديث موسى؛ قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [طه: ٩-١٤]، وإرسال الملك المكلف بوظيفة التبليغ للأنبياء، وهو جبريل أو جبرائيل، وهو أقرب ملائكة الله المقربين لديه،

ويُعرف (بروح القدس) لطهارته، و(الروح الأمين) لائتمانه على التبليغ إلى الرسل والأنبياء. وإليه يشير أيضًا قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وعلى هذا يمكن إيجاز معنى الوحي في:

1ـــ فكرة دينية وفلسفية، معناها: كشف الحقيقة كشفًا مباشرًا مجاوزًا للحس ومقصورًا على من اختارته العناية الإلهية.

ويتخذ هذا الكشف صورًا شتى نظّمها المتكلمون في مراتب مختلفة؛ كالرؤيا الصادقة، والاتصال بجبريل في صورة رجل عادي.

2ـــ يذهب فلاسفة الإسلام إلى أن الوحي اتصال النفس الإنسانية بالنفوس الفلكية اتصالًا روحيًّا، فترتسم فيها صور الحوادث وتطلع على عالم الغيب.

وللأنبياء استعداد خاص لهذا الاتصال، وقد يدركه الولي والعارف في درجات أدنى، وهذا ما يسمى بالإلهام.

3ـــ فسر الشيخ محمد عبده الوحي تفسيرًا قريبًا من هذا، وقرر أنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من عند الله بواسطة أو بغير واسطة" [(١)].

رابعًا: تكامل المعرفة في ضوء الفكر التربوي الإسلامي:

يعتبر تأصيل المعرفة ومنهج الاستدلال في الإسلام هدف كثير من المفكرين الإسلاميين؛ حيث ما حصل من الانحراف في الفكر الإسلامي؛ نتيجة الخلاف حول مصدر التلقي، وما نشأ عن ذلك من إحداث مناهج بدعية في الاستدلال معارضة لمنهج الاستدلال في الإسلام بفعل اتجاهات مختلفة، يمكن إجمالها في ثلاثة اتجاهات؛ هي:

الاتجاه الفلسفي والاتجاه الكلامي والاتجاه الصوفي.

---

(١)نويري، إبراهيم،2017))، **حول مصادر المعرفة في الإسلام، تم الاسترجاع من :**
/https: / / elbassair. org/ 975

والأصل الجامع لهذه الاتجاهات على اختلافها هو انحرافها في مصدر التلقي، مع دخولها في مسمى الفكر الإسلامي، مما يقضي بالضرورة تأصيل منهج الاستدلال الحق، والكشف عن تناقض هذه الاتجاهات وما يلزم عنها من لوازم باطلة.

ومما يستوجب تأصيل المعرفة ومنهج الاستدلال في الإسلام: أن الاتجاه الوضعي المعارض لحقائق الدين هو المنهج السائد في هذا العصر في المذاهب الفلسفية ونظريات ما يسمى بالعلوم الإنسانية، إذ أنها قد نشأت في ظروف خاصة، حين فزع الناس من التفسير الديني القائم على الكتب المحرفة المشتملة على ما ينافي الضرورة العقلية.

قد دخلت إلى العالم الإسلام على أيدي مفكرين ومربين، تلقوها وطبقوها دون وعي بحقيقة الإسلام أو حقيقة ما تتضمنه تلك النظريات من المصادمة للثوابت الشرعية، وإنما يتحقق تأصيل المعرفة ومنج الاستدلال في الإسلام بالكشف عن أصول تلك المذاهب والنظريات ونقدها.

ومما يستوجب تأصيل المعرفة في الإسلام: أن الغالب على ما أصبح يعرف **بأسلمة المعرفة وأسلمة العلوم** هو الاهتمام بالجانب النقدي بالمذاهب والنظريات المخالفة.

ومع أهمية هذا الجانب إلا أنه لا يمكن أن يحقق الهدف منه ما لم يؤسس على تصور متكامل لطبيعة المعرفة في الإسلام ومصادرها ومجالاتها؛ إذ أنه لا يكفي الاعتراض الجزئي على مذاهب ونظريات لها أصولها وأهدافها، بل لا بد من قبل ذلك من التأصيل للمعرفة في الإسلام، ومواجهة تلك المذاهب بتصور متكامل هو الأساس والشرط الضروري للنقد التفصيلي [1] (1).

ولا تعارض بين العقل- أحد مصادر المعرفة في الإسلام- والنقل، بل هي علاقة تكاملية، والنقل منه ما هو ظني ومنه ما هو قطعي، وكل المصادر منها ظنية ومنها قطعية،

(١)نويري، إبراهيم، (**2017**)، حول مصادر المعرفة في الإسلام، تم الاسترجاع من: https: / / elbassair. org/ 975

ولا يعني وجود الظني إلغاء المصدر كله، فعندما نقول: مصادر المعرفة متنوعة، نقصد بها المصادر القطعية، وأوسع المصادر هو النقل، فالنقل مصدر من مصادر المعرفة في الفكر الإسلامي التربوي لا ينكره أحد [1][2]، لكن قد يحدث تعارض بين ظني وقطعي، وعندها نقدم القطعي سواء كان عقليًّا أو نقليًّا؛ إذ القطعيان يمتنع التعارض بينهما، وأما إن كانا كلاهما مصدر ظني فإنه يُصار إلى طلب ترجيح؛ يقول بن تيمية: "لا يمكن أن يتعارض نص صحيح مع عقل صريح، فإن ثبت العكس، فالطعن بالعقل أولى، فلا يمكن ردُّ النص الكامل بالعقل الناقص، فالعلاقة بين الوحي والعقل علاقة تكامل، وصريح المعقول لا يعارض صحيح المنقول"[٢] ، وعن علاقة العقل والحس -كمصادر ثانوية للمعرفة في الفكر الإسلامي التربوي- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن التجربة: "هي ما يختبره الإنسان بعقله وحسه وإن لم يكن من مقدراته، ذلك أن التجربة إنما تحصل بالنظر والاعتبار والتدبر، وملاحظة تكرار اقتران السبب بالمسبب عنه- وكل من العقل والحس مفتقر إلى الآخر؛ لأن الحس وظيفته نقل المعطيات الحسية إلى العقل"، ويقول أيضًا: "إن الخبر أيضًا لا يفيد إلا مع الحس أو العقل، فإن المُخبر عنه إن كان قد شوهد، كان قد علم بالحس، وإن لم يكن شوهد فلا بد أن يكون شوهد ما يشبهه من بعض الوجوه، وإلا لم يعلم بالخبر شيء، فلا يفيد الخبر إلا بعد الحس والعقل، فكما أن العقل بعد الحس فالخبر بعد العقل والحس، فالإخبار يتضمن هذا وهذا"[٣].

ثم بعد ذلك يتصور العقل هذه المعطيات ويؤلف بينها، ويمارس العقل التجريد والتعميم بعد إدراك جزئيات معينة في الواقع المحسوس.

الدراسات السابقة:

(١)عمارة، محمد، (1989)، السنة النبوية مصدرا للمعرفة، **مجلة المسلم المعاصر**، ال عدد59، ص138.

(٢)ابن تيمية، تقى الدين، (1979)، **درء التعارض**، ط2، مصر، مطبعة السنة المحمدية، ج2، ص89.

(٣)ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مصر، ص185.

1- **دراسة القرضاوي، يوسف، (2002)** والتي تناولت **السنة مصدر للمعرفة والحضارة** ومن خلال المنهج

الوصفي جاء البحث في ثلاثة أقسام: الفصل الأول: تناول الجانب التشريعي من السنة، وبيان ما كان منها للتشريع، وما لم يكن للتشريع، وما كان للتشريع العام أو للتشريع الخاص، وللتشريع الدائم أو للتشريع العارض، وقد حاول الباحث هنا أن يتخذ موقفًا وسطًا بين فئتين من المسلمين ترى إحداهما أن "كل ما ورد في السنة يعد تشريعًا ملزمًا لكل الناس في كل الأزمان وفي كل الأقطار وفي كل الأحوال" (ص 19)، وتريد الأخرى أن تعزل السنة عن شئون الحياة العملية كلها، فالعادات والمعاملات وشئون الاقتصاد والسياسة والإدارة والحرب ونحوها يجب أن تترك للناس، ولا تدخل السنة آمرة ولا ناهية ولا موجهة ولا هادية" (ص20) وجزئياتها.

أما القسم الثاني فقد جاء تحت عنوان: السنة مصدرًا للمعرفة، وقد بيّن فيه المؤلف أن مصادر المعرفة عند الماديين تنحصر فيما يدركه الحس من الماديات، أو يدركه العقل من المعقولات. وإنهم لا يؤمنون بأي مصدر بعد ذلك. وأشار إلى أننا نحن المسلمين نؤمن بهذين المصدرين، ونعُد الحواس والعقل أدوات مهمة، بل نعمًا جليلة وتوصل البحث إلى أن السنة مصدر معتبر من مصادر المعرفة في الفكر الإسلامي.

2- **دراسة** Halstead،(2004) .M **قام** الباحث باستكشاف الطبيعة الإشكالية للفلسفة في الإسلام. والقسم الثاني يبحث في الموارد المتاحة لاستكشاف منهجي لمبادئ التربية الإسلامية. ويناقش القسم الثالث ثلاثة أبعاد للتعليم في الإسلام؛ أحدها يركز على التنمية الفردية. والثاني على التعليم الاجتماعي والأخلاقي. والآخر على اكتساب المعرفة. وتوصل الباحث إلى مقارنة للاختلافات بين الطرق الإسلامية والليبرالية لفهم التعليم وإمكانية الحوار في المستقبل مع الفلسفات الغربية؛ للتوصل إلى تكامل المعرفة لخدمة الإنسانية.

3- **دراسة نصيرات، الشريفين، المطالقة (2013)**، التي تناولت مصادر المعرفة في القران الكريم والفلسفات التربوية دراسة مقارنة، ويهدف البحث إلى الكشف عن مصادر المعرفة في الفلسفات التربوية: المثالية والواقعية والواقعية في ضوء مصادر المعرفة في القرآن. ولتحقيق أهداف البحث استخدم الباحثون المنهج الوصفي، الاستنتاجي والأساليب الاستقرائية التي كشفت عن اختلاف حاد في الفلسفات التربوية نظرة على مصادر المعرفة. كما يلاحظ أن مصادر المعرفة في هذه يمكن اعتبار الفلسفات مصادر المعرفة للقدرات المقدسة.

4- **دراسة القرني، عبد الله بن محمد (2014)**، التي تناولت **المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها** ووجوب تأصيل المعرفة ومنهج الاستدلال في الإسلام: أن الاتجاه الوضعي المعارض لحقائق الدين هو المنهج السائد في هذا العصر في المذاهب الفلسفية ونظريات ما يسمى بالعلوم الإنسانية، إذ أنها قد نشأت في ظروف خاصة، واستخدم الباحث المنهج الوصفي، واشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وهي كالتالي: الباب الأول: الوحي حقيقته وثبوته ومجالاته والباب الثاني: المعرفة الفطرية ومجالاتها والباب الثالث: مقومات المعرفة العقلية ومجالاتها.

التعليق على الدراسات السابقة:

تتفق الدراسات السابقة على تعدد مصادر المعرفة ومجالاتها بين المنظور الفلسفي والإسلامي إلا أن نظرة الإسلام للمعرفة تعتبر شمولية عن المنظور الفلسفي، وهذا ما أيدته دراسة (القرنى، 2014)، واستخدمت الدراسات السابقة المنهج الوصفي، وأثبتت الدراسات تأصيل المعرفة؛ حيث يعتبر تأصيل المعرفة ومنهج الاستدلال في الإسلام هدف المفكرين الإسلاميين؛ ومن الدراسات التي تناولت ذلك دراسة (القرضاوى، 2002)، وأكدت أن الانحراف في الفكر الإسلامي؛ نتيجة الخلاف حول مصدر التلقي، وما نشأ عن ذلك من إحداث مناهج بدعية في الاستدلال معارضة لمنهج الاستدلال في الإسلام بفعل اتجاهات مختلفة، وقد عرضت دراسة (نصيرات، آخرون، 2013) العديد من

الفلسفات التربوية ونظرتها للمعرفة، وأوضحت الدراسة منظور الإسلام لذلك كنظرة شمولية تتكامل مع المصادر الأخرى للمعرفة.

مما سبق معنا في ضبط مصطلح القوة الإدراكيَّة من منظور الإسلام، فقد تكوَّنت مصطلحات وهي: "أداة المعرفة"؛ وهي الجوارح من حواس وقلب، و"محل الإدراك" وهو القلب، و"محل الإحساس"، وهو الحواس، و"القوة المدركة" الكامنة بالمحل، و"فعل القوة المدركة" وهو نشاطها وعملياتها الإدراكية، و"الهيئة" وهي حصول الإدراك حسب مراتبه داخل النفس.

نتيجة لذلك يمكن اعتبار مصادر المعرفة التابعة عند من اصطلح عليها يُمكن ضمها إلى الأصلية قطعًا، وتقسيمنا للمصادر إلى أصلية وتابعة هو مُسايرة لكثرة التداوُل، فالبعض يَجعل المصادر التابعة أصلية، فيزيد على المصدرين أكثر، لكن ما خلصنا له أنَّها قسم من المصدرين لا قسيم لهما، وذلك بدلالة اللغة واستعمالات العلماء لها، وورودها في القرآن بهذا المعنى، فكان المصدران الأصليان الوحي والكون، ثم مصادر هي تابعة لهما ضمنيًّا.

النتائج:

في ضوء ما سبق يمكن التأكيد على أنه يوجد في القرآن الكريم ما يصلح لبناء نظرية المعرفة في الفكر الإسلامي، وقد اعتمد على عدة أسس كمدخل لهذا البحث، وهي:

١. تعكس هذه الدراسة الرؤية الإسلامية للمعرفة التي تبين لنا من خلال البحث أنها متكاملة وشاملة عن بقية المذاهب، فمصادر المعرفة في القرآن الكريم تشمل (العقل، والحواس، والوحي والرؤيا الصادقة، والإلهام)، وهي مصادر متكاملة تعمل مع بعضها بعضا؛ لذا مَن يتبنى هذه الرؤية سيصل إلى الحقيقة بصورة كاملة، ولا خلاف أن النظام التربوي العربي والإسلامي يحتاج إلى إعادة النظر في الفلسفات التي يقوم عليها التعليم، وتبنى رؤية إسلامية مؤداها إلى نهضة إسلامية شاملة في شتى مناحي الحياة، وهذا ما أكدته **دراسة** Halstead،(2004) .M ؛ حيث إن تكامل أبعاد التعليم في

الإسلام بين التنمية الفردية والتعليم الاجتماعي والأخلاقي يجعل الرؤية الإسلامية متكاملة.

٢. أن القرآن يحتوي على أسس واضحة في طرق المعرفة؛ يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل:٧٨]، ولقد ألقت الضوء على هذا الجانب **دراسة نصيرات، الشريفين، المطالقة (2013)** التي فصلت مصادر المعرفة في القران الكريم التي لو اتّبعها الإنسان لأمكنه أن يصل إلى لبِّ الحقائق ويهتدي إلى الصواب في كل مراتب المعرفة التي يقصدها.

٣. مصدر هذه المعرفة أو منبعها هو الله سبحانه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١-5]، ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣١-٣٣]، ولقد أوضحت **دراسة القرني، عبد الله بن محمد (2014)** أن الله تعالى قسم هذا الكون قسمين اثنين هما: عالم الغيب وعالم الشهادة. وبما أن طبيعة عالم الغيب تختلف عن طبيعة عالم الشهادة، فإن الطرق لمعرفة كل منهما تتفق مع طبيعة موضوع المعرفة الذي هو عالم الغيب والشهادة. ولكل منها مجاله، وإن كان الوحي هو الذي يحكم عليها كلها ويعطي حكمًا قاطعًا في كل ما يحكم عليه. وحتى المنهج العلمي التجريبي والاعتماد على الحس له مكانته في الفكر الإسلامي.

٤. ذكر القرآن طرق المعرفة ووسائلها: من حواس وعقل أو قلب، وأضاف طريقًا فريدًا ليس في طرق البشر، وهو طريق الوحي والإلهام.

٥. تعرض القرآن لطبيعة المعرفة، وأنها اكتسابيه كلها: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [النحل:٧٨]، ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:٥]، وتعرض لصور الاكتساب من تفكير وتذكير وفقه وشعور...، إلخ.

٦. بَيَّن القرآن مجالات هذه المعرفة: المجال الطبيعي أو عالم الشهادة، ويدرك بالحواس والعقل، وعالم الغيب وطريقة الوحي، والعقل يسلم بوجوده، ويفهم وفق ما سمح الله له من طاقات، وتفاصيله غيب لا نعلمه إلا بإعلام الله لنا عن طريق الوحي.

٧. بَيَّن القرآن غاية المعرفة في الوجود الإنساني، فجعلها تخدم هدف عبادة الناس لله اعتقادًا وعبادة، علمًا وعملًا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]، كما جعلها أساس لقيادة البشرية، والقيام بدور الخلافة في الأرض، والانتفاع مما في الكون مما سخره الله للإنسان: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [لقمان:٢٠].

٨. القرآن دعوة لتحرير العقل الإنساني من أغلال التقليد والتبعية القائمة على أسس الوراثة فحسب، ومن ثم فهو يدعو الإنسان إلى التأمل والتفكر، ويوجه نظره إلى الكون وإلى النفس، ويمدح المتفكرين والمتذكرين وأولى الألباب، ويشنع على الذين لا يفقهون، ولا يعلمون، ولا يتذكرون، ويصفهم بعمى البصيرة أو القلوب؛ قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦]، ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٥] ، وهذا ما أشارت إليه **دراسة القرضاوي، يوسف، (2002)** أن مظهر الوحي الإلهي عبارة عن: (القرآن، السّنة)، ولا يعني ذلك الاستغناء عن التجربة البشرية، بل الإسلام أقرّ بعض السّير المتّبعة؛ فعن أمير المؤمنين: "الأُمور بالتجربة، والأعمال بالخبرة"، وعنه أيضًا: "العقل حفظ التجارب"، وقال أيضًا: "لولا التجارب عميت المذاهب، وفي التجارب علمٌ مستأنف".

٩. جمع القرآن بين طرق المعرفة الرئيسية الثلاث معًا: الوحي، والعقل، والحس. كما جمع بين مجالي المعرفة وهما مجالا الوجود: الدنيا والآخرة، أو عالم الشهادة وعالم الغيب في آية واحدة، فقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ

يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يوسف:١٠٩].

١٠. القرآن يقرر نسبة المعرفة الإنسانية فيقول: ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ [يوسف:٧٦] ، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء:٨٥].

١١. يجعل القرآن اليقين معياره في المعرفة، ويرد الشك والظن، ولا يعتبرهما علمًا صحيحًا: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُ﴾ [النجم:٢٣] ،﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾﴾ [النجم:٢٨].

كل هذه الأسس يمكن أن تكون بناء لنظرية في المعرفة؛ من حيث ماهيتها وامكانها ومصادرها وطبيعتها وطرقها ومعيارها وقيمتها.

التوصيات:

1- توصي الدراسة بإعادة بناء فلسفات التعليم في العالم العربي والإسلامي، وفق رؤية القرآن الكريم للمعرفة، كونها الفلسفة التربوية الشاملة والمتكاملة وتؤدى إلى مخرجات تعليم سليمة وصحيحة، ففي كثير من البلدان العربية والإسلامية تبنى فلسفات التعليم تقليدًا للغرب، فتنعكس سلبًا على مخرجات التعليم.

2- وتوصي أيضًا أن تعي كل من المؤسسات الدينية والمؤسسات التعليمية ضرورة تكامل مصادر المعرفة؛ لأن عدم الوعي بتكاملها يؤدي إلى أن يعتقد بعضهم بتنافر الدين والعلم، وبالتالي تفشى الفكر العلماني بين الناس في البلاد الإسلامية.

المراجع

القران الكريم

- ابن تيمية، تقى الدين، أحمد الحراني (1979)، **درء التعارض**، ط2، مصر، مطبعة السنة المحمدية. ج 1/ 111
- ابن تيمية، تقى الدين، أحمد الحراني (2005)، مجموع **الفتاوى**، ط3، دار الوفاء، مصر، ج 13/ 136
- حاجى، جعفر عباس (1986)، **نظرية المعرفة في الإسلام دراسة مقارنة لنظرية الأسس والمفاهيم المتعلقة بنظرية المعرفة في الإسلام وبقية المذاهب الفلسفية الأخرى**، بيروت، الألفين.
- دخوش، كلثومة (2014)، مع كتاب الله تعالى، **مجلة المحجة**، نوفمبر العدد، 428.
- الدعجاني، عبد الله بن نافع (2014)، **منهج ابن تيمية المعرفي**، الرياض، مركز تكوين للدراسات والأبحاث.
- عكاشة، رائد جميل (2019)، التكامل المعرفي: أثره في التعليم الجامعي وضرورته الحضارية"، **مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد 91**.
- عمارة، محمد (1989)، السنة النبوية مصدرًا للمعرفة، **مجلة المسلم المعاصر**، العدد 59.
- عمارة، محمد (2008)، **مقام العقل في الإسلام**، نهضة مصر، القاهرة.
- القرضاوي، يوسف، (2002)، السنة **مصدر للمعرفة والحضارة**، ط2، دار الشروق مصر.
- القرني، عبد الله بن محمد (2014)، **المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها**، الرياض، مركز التأصيل للدراسات والبحوث.

- المؤتمر السابع للمجمع الملكي العالمي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)، **السنة النبوية ومنهجها في بناء المعرفة والحضارة للفكر الإسلامي**، (1989)، بالتعاون مع المعهد العلمي العالمي بواشنطن، عمان، 6 /23 -19/ .
- نصيرات، رائدة خالد، وآخرون (2013)، مصادر المعرفة في القران الكريم والفلسفات التربوية.. دراسة مقارنة، **مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد** 30.

المراجع الأجنبية:

- Hashim، R.، & Rossidy، I. (2000). **Islamization of knowledge: A comparative analysis of the conceptions of AI- Attas and AI-Fārūqī.** *Intellectual Discourse*، *8* (1) .
- Halstead، M. (2004). **An Islamic concept of education. Comparative education**، 40 (4)، 517- 529 .
- Hashim، R.، & Rossidy، I. (2000)**. Islamization of knowledge: A comparative**
- Niyozov، S.، & Memon، N. (2011). **Islamic education and Islamization: Evolution of themes ،**
- **المواقع الاليكترونية:**
-)، مدخل لفهم نظرية المعرفة، متاح على موقع المحاور، تاريخ 2019العجيري، عبد الله (2019 مايو 15 صباحًا 00، 1الدخول .
- http: / / smohawer. 7olm. org/ t28- topic
- 1،00/ مايو س 15)، مفهوم المعرفة في القران الكريم، تاريخ الدخول 2012عبد الله عمر (متاح على:
- http: / / munaalislam. net/ ?p=1482
- **:)، حول مصادر المعرفة في الإسلام، تم الاسترجاع من2017) نويري، إبراهيم،** https: / / elbassair. org/ 97